Issue 6599 Monday 2/3/2020
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6599 الاثنين 7 من رجب 1441 هـ 2 من آذار (مارس) 2020 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

الذاكرة الصحفية خلال عقد الستينات

عارف يحرج الزعيم بتعيين قادة ثورة 14 تموز في مناصب خارج العراق

عبد الله اللامي
بغداد

- 15 ثائرا هم أعضاء اللجنة العليا للضباط الاحرار برئاسة الزعيم عبد الكريم قاسم
- الثورة تعيّن الشواف حاكماً عسكرياً وعارف يعيّن العبدي بديلاً عنه
- وجوه غريبة جاء بهم عبدالسلام عارف لاعلاقة لهم بالثورة
- محاولات عبد السلام عارف إبعاد الضباط الاحرار خارج بغداد

في الايام الاولى لثورة 14 تموز 1958 وتولي عبدالكريم قاسم مهمته كرئيس للوزراء والقائدالعام للقوات المسلحة ووزيرا للدفاع وكالة ، حاول الحد من تصرفات العقيد عبدالسلام محمد عارف من خلال تدخله في ابعاد الضباط والاحرار .

حاكم عسكري

وفي اليوم الاول للثورة تقرر تعيين العقيد الركن عبدالوهاب الشواف حاكما عسكريا عاما ، وطلب اليه تنسيب رئيس للمحكمة العسكرية فنسّب العقيد شمس الدين عبدالله ولكن في الصباح التالي 15 تموز 1958 الغي تعيين العقيد الشواف وصدرت الاوامر بتعيينه امرا لحامية الموصل وحل مكانه الزعيم الركن احمد صالح العبدي ، وكان العقيد عبدالسلام عارف على خلاف شديد مع الشواف فأراد ابعاده عن بغداد وقد ترك ذلك اثرا في نفس الشواف الذي عّد ذلك ابعادا له ولذلك فقد اصر الشواف على عدم الالتحاق بالموصل ، وعلى ضرورة تشكيل مجلس لقيادة الثورة واخذ يجمع بعض الضباط والاحرار للقيام بحركة انقلابية وتشكيل مجلس لقيادة الثورة ولكن جهوده باءت بالفشل بسبب الانزال الامريكي في لبنان وظهور اخطار شديد بالثورة ، وقد اقنعه الضباط الموالون للزعيم عبدالكريم قاسم بالالتحاق بالموصل ، ورفض العقيد رفعت الحاج سري الالتحاق بوزارة الدفاع لكن الزعيم قاسم تمكن من اقناعه فوافق على قبول منصب مدير الاستخبارات العسكرية .

وهنا يروي اللواء الركن محسن حسين الحبيب قائلا : كنا نشاهد وجوها غريبة تحتل مناصب رئيسية في وزارة الدفاع وهي ليست في الثورة ولاقريبة منها ، ان الاستخبارات العسكرية وهي من اهم شُعب الاركان العامة كان يرأسها ضابط بعيد عن الثورة بينما كان ضابط ثائر يجلس في غرفته منزويا متألما لايدري ماذا يعمل ، وبدا واضحا ان الزعيم عبدالكريم وعبدالسلام عارف وخاصة الاخير جاء بضباط لاعلاقة لهم بالثورة لامن قريب ولامن بعيد ، حتى انه يرفض تشكيل مجلس لقيادة الثورة الذي اتفق الثوار على تشكيله بعد قيام الثورة في 14 تموز 1958 بل تم ابعاد اخوانهم اعضاء اللجنة العليا للضباط والاحرار لكن تم نقل هؤلاء الى مناصب ثانوية ، مثلا الزعيم الركن ناجي طالب عهد اليه منصب وزير ولكن في وزارة ثانوية وهي وزارة الشؤون الاجتماعية ، ورجب عبدالمجيد وهو من ابرز ثوار تموز وكان لولب الحركة وسكرتيرها العام لكن العقيد عبدالسلام عارف عينه بمنصب مدني في وزارة الاعمار وهو منصب لاحول ولاقوة ، وصبيح علي غالب ارسله عبدالسلام عارف في منصب ملحق عسكري في انقرة ، وعبدالكريم فرحان الزعيم الركن بقي في منصبه آمر فوج في منطقة على الحدود العراقية الاردنية ، وعبدالوهاب الشواف ارسل خارج بغداد بمنصب آمر لواء مشاة الموصل ، وعبدالوهاب الامين عُين بمنصب ملحق عسكري في القاهرة ، وهكذا لم يبق من اعضاء اللجنة العليا في وزارة الدفاع غيرالزعيم عبدالكريم قاسم والعقيد عبدالسلام عارف الذي قام لوحده بتشتيت اعضاء اللجنة العليا للضباط الاحرار الذي اسرع في تعيينهم بمناصب (ملحق عسكري) في السفارات العراقية في الخارج وهو مابدأه في اليوم الاول من الثورة بعيداً عن الزعيم قاسم الذي لم يعلق ابدا على مافعله بالضباط الاحرار وتعيينهم خارج العراق !

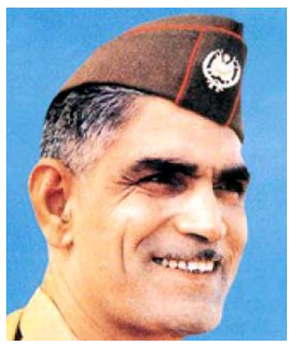

عبد الكريم قاسم

عبد السلام عارف

رفعت الحاج سري

وحينها اسرع العقيد عبد السلام عارف بتقديم قائمة طويلة بأسماء الضباط العسكريين الى الزعيم عبد الكريم لاحالتهم الى التقاعد وهم :

1- الفريق الركن محمد رفيق عارف
2- اللواء الركن عباس علي غالب
3- اللواء الركن خليل جميل
4- اللواء الركن عبيد عبد الله المضايفي
5- اللواء الركن غازي الداغستاني
6- الزعيم افرام هندو
7- الزعيم محمود بهجت
8- الزعيم الركن عبدالكريم محي الدين
9- الزعيم الركن صبيح الانصاري
10- اللواء الطبيب لطيف محمد ناصر
11- اللواء الركن عبدالرزاق النجار
12- اللواء الركن عادل احمد راغب
13- اللواء الركن نجم الدين خضر
14- اللواء الركن عمر علي
15- اللواء الركن عبدالرزاق حمودي
16- اللواء الركن جميل عبدالمجيد
17- اللواء الركن احمد سلمان
18- الزعيم الركن انيس جبر
19- الزعيم الركن عطا صالح
20- الزعيم الركن عبدالرزاق محمد
21- الزعيم الركن محمود المهدي
22- الزعيم الطبيب نهاد مراد
23- الزعيم طاهر عبدالغفور
24- الزعيم حمدي عبودي
25- الزعيم نائل محمود البصري
26- الزعيم بهاء الدين رشيد
27- الزعيم الركن حامد القطان
28- الزعيم الركن محسن محمد علي 29- زعيم الجو كاظم عبادي
30- الزعيم الركن احمد مرعي
31- الزعيم نوري حسين
32- الزعيم الركن احمد محمود
33- الزعيم الركن محمد وفيق عارف
34- الزعيم محمد علي البغدادي
35- الزعيم عدنان محسن العسكري
36- الزعيم الركن محمد زكي رفيق
37- الزعيم سيد امين بكر
38- الزعيم الركن شكري محمود نديم 39- العقيد الركن صالح مهدي السامرائي
40- العقيد عبدالقادر محمود
41 - العقيد صالح عبدالمجيد السامرائي
42 - المقدم حمدون سعيد علي
43 - المقدم محمد فهمي ابراهيم الشمري

وهذا الامر صدر بتاريخ 14 تموز 1958 كما صدرت اوامر اخرى في ايام 16 و 17 تموز ومراسيم اخرى بأحالة عدد من الموظفين المدنيين الى التقاعد وقوائم اخرى بفصل عدد من ضباط الشرطة في 14 تموز و 15تموز 1958.

واصدر الزعيم عبدالكريم قاسم امرا بأعلان الاحكام العرفية في جميع انحاء العراق بدءاً من يوم 14 تموز كما اصدر قراراً بتعيين الزعيم الركن احمد صالح رئيس اركان الجيش حاكما عسكريا في جميع انحاء العراق وصار في هذا القرار المرجع الاعلى لجميع الادارات العرفية ومسؤولا مباشرا امام الزعيم عبدالكريم بصفته وزيرا للدفاع .

التزام الهدوء

كما أعلن الاحكام العرفية في جميع انحاء العراق اعتبارا من يوم 14 تموز 1958 وطلب الزعيم عبدالكريم قاسم من الشعب العراقي التكاتف والعودة الى اعمالهم والتزام الهدوء وفسح المجال للسير قدما في الطريق الذي قررت الثورة انتهاجه ، كل هذه الامور صدرت بسبب ماقام به العقيد عبدالسلام عارف من تصرفات غير مسؤولة ضد اعضاء اللجنة العليا للضباط الاحرار والذي قام بتعيينهم في مناصب ثانوية في الايام الاولى من الثورة وبخاصة اولئك الثوار الذي عينهم بمنصب ملحق عسكري خارج العراق ما ولد الاستغراب والاستياء في اوساط الضباط الاحرار لثورة 14 تموز 1958.

□ نقيب الصحفيين العراقيين الاسبق

حكومات ودول للبيع والإيجار

بعد أن فشلت كل محاولات المعارضة وغير المعارضة من منافسي صدام من ذات الحزب أو المؤسسة العسكرية المؤدلجة، من إسقاط نظامه بانقلاب أو ثورة، شنت الولايات المتحدة وحلفاؤها حربا شاملة على العراق بعد غزوه لدولة الكويت وتهديده للمملكة العربية السعودية، والكل توقع أنهم سيسقطونه، لكن الذي حصل إنهم اكتفوا بتحطيم العراق وبنيته التحتية والفوقية، وأعادوه كما وعد رئيسهم إلى حقبة ما قبل الكهرباء، وكأنهم كانوا قد استمعوا إلى صدام حسين وهو يخاطب ايران بأنهم لن يأخذوا مكانه إلا والعراق حفنة من تراب، وحققت أمريكا وحلفاؤها العرب تلك النبوءة أو التهديد، فانسحبوا بعد أن سلموا العراق حفنة من تراب لصدام حسين.

ولتتم عملية التدجين فرضوا حصارا مقيتا على العراق شعبا وحكومة لسنوات طويلة وقاسية فعلت فعلتها في تكريس العبودية على أيدي أشجع الفرسان الجبناء (الجوع والفقر) ووسائل النظام ورجالاته، محطمين صفحات ومراكز خطيرة في السلوك والقيم الاجتماعية، تكريسا للاستكانة وثقافة القطيع لدى الرئيس ومرؤوسيه، حتى اكتمل البرنامج ونضجت الطبخة لتبدأ مرحلة جديدة هذه المرة بالتدخل العسكري وإنهاء نظام صدام حسين وحزبه واحتلال العراق، والبدء بتأسيس نظام جديد مغاير تماما للنظام السابق، وبداية تبلور حقبة جديدة من التاريخ مع مجموعة تجار ولصوص اعتمدتهم الولايات المتحدة ووصفهم الحاكم المدني الأمريكي برايمر بأن (نصفهم كذابون، والنصف الآخر لصوص، لا يفصحون عما يريدون ويختبئون وراء أقنعة مضللة، حاذقون في فن الاحتيال وماكرون كما هي الثعالب، يؤمنون بأن الاحتيال على الناس ذكاء، وأن تسويف الوعود شطارة، والاستحواذ على أموال الغير واغتصاب ممتلكات المواطنين غنائم حرب)، ومن هذه التوصيفات والفكرة التي أخذها المحتل الأمريكي لغالبية معارضي النظام الشمولي، بدأت ملامح إنشاء سوق أو بازار لشراء وبيع وتأجير المناصب ومن ثم الحكومات والدول، وكانت تجربة ناجحة أثمرت على تحقيق صفقات عديدة ليس في العراق فحسب بل في سوريا وليبيا واليمن ولبنان وافغانستان والبازار ما زال مستمرا!

ومن أغرب الأمور في موضوعة البيع والإيجار للحكومات والدول خاصة في العراق، أن الكل يتحدث عن الفساد المستشري بين معظم مفاصل الدولة الحديثة دونما التطرق أو التركيز على أساسيات هذا الفساد وصناعته، ألا وهو بيع وشراء المناصب التي كانت حتى سنوات قبل سقوط النظام تكليف وليس تشريف، بل كانت حملاً ثقيلاً على المكلّف أيام العهد الملكي، وكثيراً ما كان المرشحين يعتذرون عن تولي تلك المناصب احتراماً لأنفسهم وللوظيفة، خاصة وأن الأخيرة لم تكن مغرية بامتيازاتها آنذاك كما هي الآن سواء في الحكومة أو البرلمان أو العسكر.

إن من أهم أسباب نشوء هذا البازار الذي كاد أن يمحو أي شعور وطني أو إحساس بالمواطنة الرفيعة والانتماء الحر، هي تلك الامتيازات الهائلة التي خلقت بيئة خصبة لا للتنافس بل للتقاتل من أجلها، وتركين الوطن وأخلاقيات الوظيفة العامة ومسؤوليتها في زاوية مظلمة لا موقع لها في أجندة المكلف، لأن عينه وعقله بالتأكيد على الامتيازات وعلى مساحات الثراء الفاحش والعمولات والسحت الحرام، حتى تحولت مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية إلى إقطاعيات وعمولات وأسواق للصفقات والشركات الوهمية التي تمتص ميزانية البلد إلى درجة تم تصنيفه واحد من أفشل بلدان العالم وأكثرها فساداً، فلم يكتفوا ببازار المناصب الوزارية والإدارية العامة في المركز والمحافظات، بل وصلت الأمور مؤخراً إلى أن يتهم رئيس الوزراء المكلف الجديد أطرافاً متنفذة في البرلمان والحكومة بدفع مبالغ لأعضاء مجلس النواب لعدم حضور الجلسة أو عدم الإدلاء بالصوت أو رفض منحه الثقة، وهذا يعني أن صفات أخرى تتبلور الآن لشراء أو بيع منصب رئيس الوزراء، في بلد لم تعد غالبية قواه السياسية المتنفذة تلتزم بما كتبته من وعود وتعهدات للأهالي، وخاصة الدستور الدائم للبلاد الذي لم يعد أكثر من كتاب مركون على رفوف مكاتب المسؤولين للتجمل به ليس إلا، ورحم الله من أخبرنا بالتراث القديم القائل إنهم كانوا يصنعون آلهتهم من التمر، وحينما يشتد بهم البرد أو الجوع يلتهمونها، وما أشبه أحفاد اليوم بأجدادهم في الأمس!.

كفاح محمود كريم
kmkinfo@gmail.com

إعادة دورة الفشل

بما إن حكومة علاوي المكلف ، محدودة الزمن ، لمهام بعينها فرضتها الانتفاضة الشعبية ، وحددتها طبيعة الفشل القاتل لوزارات سابقة ، ومجالس النواب بكل عناوينها ، نقول بما إن الحكومة مؤقتة ، فماذا يعني تحالف تكتلات لإسقاطها قبل ولادتها ، والتهديد بالانسحابات قبل رؤية برنامجها ، وتحميل رئيس الجمهورية مسؤولية الاختيار .

هذا الوضع برمته يعطي مؤشرات واضحة ، بأن الكيانات السياسية ، لاتريد للعراق الخروج من الأ ز مة ، وليس في ضمن تفكيرها وقف عمليات التدهور الحاد لجمهورية العراق ، ولا الرغبة بتلبية مطالب الشعب ، وإن قصديتها الواضحة هو إعادة دورة الفشل ، لكي تستمر منظومة الفساد وغسل الأموال بدورتها الاعتيادية، التي لارقيب ومراقبة عليها ، كونها تمثل قوى حاكمة ومتحكمة بالسلطة .

قبل فترة تحدث الحلبوسي رئيس البرلمان ، قائلاً .. إن الفساد في مؤسساد الحكم ، ليس حالة فردية يمكن معالجتها ، وإنما هي منظومة متكاملة تمتلك المال والسلاح وقوة القرار السياسي ، وهذا الأمر ليس بالسهولة مكافحته أو الحد من تأثيراته ، الامر يتطلب تدخل المرجعية الرشيدة وكل المنابر الدينية في العراق، ويتطلب جبهة سياسية قوية ، كذلك يتطلب إجراءات قضائية وأمنية اقوى من قوة الفاسدين . لذلك نلاحظ إن القوى السياسية التي تقف ضد تشكيل الحكومة المؤقتة ، فلا هي جاءت بالبديل ومعالجة الازمات طيلة الفترة الماضية ، ولاتسمح بالبديل الذي جاء بترتيب كابينته الوزارية المؤقتة من المستقلين والاكفاء حسبما يقول المكلف ، لكي يمضي بتنفيذ برنامجه وفي المقدمة منها تحديد موعد ، لاجراء انتخابات مبكرة ، وغيرها من الاجراءات المتصلة بهذا الموضوع .

إن تهديدات بعض الاطراف بالانسحاب ، والبعض الأخر يفكر بالأقلمة بغية الدفاع عن المذهبية ، واخرون باتو يتحركون لتشكيل جبهة مضادة ، وتفيد بعض التقارير والتي منها ما اشار اليه رئيس الوزراء المكلف ، بان اموالاً طائلة دفعت لبعض النواب بغية عدم التصويت لصالح الوزارة الجديدة ، ولو صحت مثل هذه المعلومات فأنها تعبر عن حالتين خطبرتين على الكيان العراقي برمته .

أولهما بأن النائب الذي من المفترض يمثل الشعب وامين على مصالح الدولة ، فإذا اخذ مثل هذه الرشوة يعني باع نفسه للاجنبي فالأموال التي تدفع بالتأكيد اموال خارجية لضرب استقرار العراق ووحدته الوطنية وعملية بناء الدولة ، الأمر الثاني فأن القوى السياسية التي تشتغل على افشال وزارة علاوي المؤقة ، فهي بالاساس موغلة حتى النخاع على تفكيك العراق وتهديم مابقي من الدولة لكي تستمر بالنهب وسيادة الفاسدين والفاشلين على مؤسسات الدولة، ومثل هذا السلوك لايمكن التخلص منه إلا بدعوة سماوية بأصابة هؤلاء بالجذام وكورونا معاً .

إن هذا الوضع يوحي ، بأن تجربة الوزير الأول المكلف سيواجه حتما العديد من المصاعب وابلغها تعطيل الانتخابات المبكرة والاجراءات التغييرية الحقيقية في هيكلية النظام القائم حسب مطالب الجماهير ، بغية اسقاطه ، إذا لم تسقط وزارته في الجلسة الاولى للبرلمان .

إن الاطراف التي تريد إعادة دورة المحاصصة الطائفية العرقية وتلك الاطراف التي تؤيدها بحجة الشركاء والمكونات ، هي بالضرورة يصعب عليها القبول بالتغيير وانكشاف حجمها الجماهيري في الانتخابات المبكرة وكذلك وضعها أمام استحقاقات المكاشفة والسؤال عن المال العام المنهوب وعن شيوع المكاتب الاقتصادية وبيع وشراء الوزارات .

في حقيقة الأمر العراق الان يعيش نظام المافيات ، نفس الفترة التي عاشتها روسيا في عهد يلتسن ، ولم تتخلص منها روسيا وتنهض وتتطور وتصبح دولى عظمى إلا في عهد فلاديمير بوتن الذي زج رجال المافيات واصحابهم في الحكم بالسجون وإعادة الاموال الى خزينة الدولة ومن هرب الى الدول التي وظفته ضد روسيا ظل يلاحقه ، نحن بحاجة الى قوة ردع حقيقية وليس هناك من ناصر ينصر العراق إلا المرجعية الدينية في النجف الاشرف وعليها أن تضع النقاط على الحروف وتنقذ البلاد والعباد .

جاسم مراد
هلسنكي

كتب

تحريم الغناء.. إباحة النص والهيمنة الفقهية

لندن - أحمد شريف الجوراني

كثيرون هم من كتبوا بشأن تحريم الغناء، في غضون ألف سنة مضت، بيد أن كتاباتهم كانت تتسم بضعف الناحية الفنية والجمالية فضلاً عن افتقارها للمنهجية العلمية ولغة التحليل والتفكيك والنقد... وفي الغالب الأعم كانت تتكئ على السرد الوثائقي الذي يستند إلى الأحاديث والروايات التي رأسمالها العنعنة وصحة السند والقليل من هذه الكتب تطرقت لموضوعة التحريم والإباحة بلغة علمية توفر القناعة للمتلقي من دون أن يرقى إليها الشك والدحض، كما جاءت بعض الأبحاث المتناثرة بهذا الشأن ضمن كتب تتناول أبحاثاً أخرى، ولكن الباحث عبد الجبار خضير عباس في كتابه (تحريم الغناء ـ إباحة النص والهيمنة الفقهية) الصادر عن (دار نابو للنشر والتوزيع). قدم لنا كتاباً معبأً بكم هائل من الأدلة العلمية والتاريخية عبر لغة نقدية تنوعت قراءاتها التأويلية التداولية تارة بتوظيف المنهج التاريخي أو السياق الدلالي أو الطروحات اللسانية، وتشعر بالمؤثرات البنيوية أو السيميائية في الدفاع عن قناعاته في ثيمات الكتاب..ينتقل من أداة نقدية إلى أخرى يفكك النصوص ويسفه الطروحات التي تتناقض مع رؤاه مستثمراً ثقافته الموسوعية، عبر هذه المعطيات تعامل مع النص المركزي أو السردية الكبرى في الإسلام (القرآن الكريم) في الفصل الأول..ربما هناك من يطرح سؤالاً كما يقول د. نصر حامد أبو زيد في كتابه (مفهوم النص..دراسة في علوم القرآن) ص27 كيف يمكن تطبيق منهج تحليل النصوص على نص إلهي؟! وتطبيق مفاهيم البشر ومناهجهم على نص غير بشري من حيث أصله ومصدره. والحقيقة أن هذا الاعتراض إن صدر فإنما يصدر عن ذلك النمط من الفكر التأملي المثالي الذي أشرنا إليه بوصف علمي باسم (الديالكتيك الهابط). وإذا كان أصحاب هذا المنهج يتفقون معنا كذلك في أنه سبحانه شاء أن يكون كلامه إلى البشر بلغتهم، أي من خلال نظامهم الثقافي المركزي فإن المتاح الوحيد أمام الدرس العلمي هو درس (الكلام) الإلهي من خلال تحليل معطياته في إطار النظام الثقافي الذي تجلى خلاله. ولذلك يكون منهج التحليل اللغوي هو المنهج الوحيد الإنساني الممكن لفهم الرسالة، ولفهم الإسلام من ثم .«وهذا يتعلق بشأن الفصل الأول من الكتاب. نجد هذه المقدمة ضرورية لتوضيح قراءتنا للكتاب.

قبل الشروع بكتابه، قدم لنا الباحث عبد الجبار خضير تمهيداً تاريخياً وفكرياً بشأن موضوع الغناء وتضليل بعض الفقهاء باستعمال اللغة وإرادة المعرفة، كمدخل معرفي إلى بحثه مع إشارات تاريخية للفنون الجميلة العراقية لعصر ما قبل التاريخ واثباتاً علمياً بأن الفنون وبالأخص الموسيقية حاجة إنسانية غريزية، ليتساءل بعدها بمرارة بعد توجيهه النقد لوارثي حضارة سومر، وكأنهم وحدهم المعنيون بتحريم الغناء، وليس المسلمون جميعاً! (أليس من العار أن نخضع لمقاسات مخلوقات تعيش على الحافات السائبة من تاريخ التحضر!؟(ص7) ليجيب بعدها بأن العملية هي صراع بين غايات رجال الدين للتحريم، وحاجة الإنسان للفنون وضمنها الغناء. وعلى الرغم من محاولات التحريم لبعض رجال الدين، الا أنّ فنون الغناء والموسيقى والنحت ظلت عصية عليهم بوصفها حاجة إنسانية تمليها طبيعة الإنسان التي جبل عليها (ص8).

في الفصل الأول: تناول الكاتب مفردة اللهو الواردة في سورة لقمان) ومن الناس من يشتري لَهْوَ الحديث ليضلّ عن سبيل الله ... «وهي التي استند إليها الفريق الذي يؤمن بأن هذه المفردة تعني الغناء استناداً إلى شهادة الصحابي عبد الله بن مسعود والذي أقسم ثلاثاً أنها تعني الغناء «الغناء، والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات «وقسمه هذا ولثلاث مرات يوحي للمتّلقي أن لديه موقفاً شخصياً تجاه الغناء وإلا اكتفى بعرض رأيه أو القسم لمرة واحدة في الأقل. توسع الكاتب في شرح مفهوم اللهو لغوياً واصطلاحياً مع بيان أراء المفسرين، وهذه تعد إضافة معلومات غنية للمتلقي في اللغة والتفسير، اثبت المؤلف من السياق الدلالي لآيات أخرى أن كلمة (اللهو) في القرآن الكريم، وفي سور عديدة لم يكن لها معنى الغناء، وأن مفردة الغناء لم تكن متداولة آنذاك، كان من الممكن للباحث الاستدلال بسورة التكاثر «بسم الله الرحمن الرحيم، الهاكم التكاثر، حتى زرتم المقابر... «في دعم رأيه أنها لا تعني الغناء وإنما مفردة التكاثر هنا تعني النكاح، وإذا كان النكاح لهواً فهو محرم أيضاً حسب ما استند إليه بعضهم في تحريم الغناء، وإلا لماذا تارة حرام وأخرى حلال؟! الفصل الثاني: كان من أكثر الفصول غنى في معلوماته فهو يعطينا صورة عن الأديان وتاريخ الغناء وصناعة الآلات الموسيقية كالعود مثلاً، كما يسلط الضوء على شخصية النضر بن الحارث، وهي شخصية مغيبة تاريخياً محصورة في منطقة معتمة بسبب سجاله الفكري مع النبي محمد (ص) وتحديه له إعلامياً »اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك -(والحق) نصب بخبر كان، وهو عماد وصلة) -فأمطر علينا حجارة من السماء) كما أمطرتها على قوم لوط، (أو ائتنا بعذاب أليم) أي: ببعض ما عذبت به الأمم....(1) وإثبات أن الآية 6 من سورة لقمان نزلت بحق النضر بن الحارث وليست لها علاقة بالغناء، وكان محور البحث هو فك الاشتباك المقصود بين الآية 6 من سورة لقمان أنفة الذكر وبين تحريم الغناء والتي ألصقت به قسراً من قبل بعض الفقهاء والمفسرين لغايات معينة، الأمر الذي يفسر سبب الإصرار على قتل النضر بن الحارث. كما تطرق الكاتب في هذا الفصل الى ديانات كانت موجودة في ذلك الزمن كالمانوية والزرادشتية وغيرها ونقاط التلاقي بينها وبين الأديان السماوية من ناحية الطقوس والعبادات والقيم والعقائد، وإلصاق تهمة الزندقة بمعتنقي الديانة المانوية (وهو مفهوم فضفاض أخذ يتسع كثيراً إلى أن تحول إلى تهمة عقوبتها الموت) ومحاربتهم في العصور اللاحقة. في الفصل الثالث: بذل المؤلف جهداً مشكوراً في فك العلاقة بين مفردة (الغناء) ومفردات وردت في سور مثل (الاستفزاز، الزور، الصوت، اللغو، سامدون) والتي اقحمت تعسفاً على هذه المفردة مستعرضاً آراء المفسرين من مؤيد ومعارض، وبالنتيجة اثبات أن هذه المفردات الواردة في القرآن لا علاقة لها بالغناء وهو جهد يستحق الثناء والإشادة.

تحريم الغناء

في الفصل الرابع: يتناول الباحث موضوعة الأحاديث والروايات بشأن تحريم الغناء والإباحة، وكان مدخله الى ذلك في تصنيف الأحاديث وأنواعها وطريقة تناقلها وصدقيتها وموثوقيتها والمقحمة منها لأغراض شتى، وسيرة أبرز رموزها والاختلاف عليها يقول الكاتب: تصنف الأحاديث إلى »متواتر، ومشهور، وصحيح، وحسن، وصالح، ومضعف وضعيف، ومسند، ومرفوع، وموقوف، وموصول، ومرسل، ومقطوع، ومنقطع، ومعضل، ومعنعن، ومؤنن، ومعلق، ومدلس، ومدرج، وعال، ونازل، ومسلسل، وغريب، وعزيز، ومعلل، وفرد، وشاذ، ومنكر، ومضطرب، وموضوع، ومقلوب، ومركب، ومنقلب، ومدبج، ومصحف، وناسخ، ومنسوخ، ومختلف ?«وهذه الدوال مفتوحة على قراءات مختلفة، فما هو شاذ عند هذه الطائفة أو المدرسة الفكرية، فهو ليس كذلك عند مخالفيهم، وما هو ضعيف برأي الطائفة (س) فهو قوي لدى الطائفة (ص)، وقسْ على ذلك... ويدعم رأيه أن الأحاديث غير مقدسة وخاضعة للنقد بقوله: »أما بشأن فنتازيا الحفظ عند البخاري فيذكر القسطلاني: وأما ذكاؤه وسعة حفظه وسيلان ذهنه فقيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً، وروي أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة، وقال محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنّا نقول له، فقال: إنكما قد أكثرتما عليّ فاعرضا عليّ ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد ذلك على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلبه حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه!

نقد وتحليل

خضوع هذه الأحاديث والسرديات للنقد والتحليل بما يتناسب مع تطور الوعي والعقل البشري المعاصر مما جعلها عرضة للانتقاد والتشكيك، وتضاربت آراء الرواة والمفسرين بين التحريم والإباحة وصلت حد الاستخفاف من قبل بعض منهم كما ورد في حديث الغزالي: ينبغي تحريم الضحك وعدم البكاء ! كونه من المحبين للغناء يقول أيضاً مَن لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج ليس له علاج .«أهم ما أثار اهتمامي في هذا الفصل شخصيتان أخذ عنهم الحديث في تحريم الغناء هما: الأول، عبد الله بن مسعود وهو صحابي جليل كان معدماً في بداية الدعوة الإسلامية »كانت امرأته ريطة تنفق عليّه وعلى ولده من ثمرة صنعتها، إذ قالت: والله لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة فما أستطيع أن أتصدق معكم، فقال: ما أحب إن لم يكن لك في ذلك أجر أن تفعلي، فسأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم –هو وهي فقالت يا رسول الله: إني امرأة ولي صنعة فأبيع منها وليس لي ولا لزوجي ولا لولدي شيء، وشغلوني فلا أتصدق، فهل لي في النفقة عليهم من أجر؟ فقال: لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم فأنفقي عليهم «وعند مماته كان أحد أثرياء المسلمين !«وكان ابن مسعود قد اتخذ لنفسه ضيعة (براذان) فمات عن تسعين ألف مثقال سوى رقيق وعروض وماشية رضي الله عنه، وأن ابن مسعود أوصى أن يُكفن في حُلية بمئتي درهم «ولا أعلم من أشد ضرراً على المسلمين الغناء أم كنز الأموال والاثراء على حسابهم، ويمكن مقارنة ذلك بما تركه الخليفتان الثاني والرابع من أموال!

الثاني: عبد الله بن عباس، وهو صحابي جليل أخذت عنه أحاديث كثيرة موضع شك وجدل بسبب الظروف المحيطة بتاريخ وجوده في الدعوة »إذ إن المؤسسة الدينية في العهد العباسي أقحمت اسم عبد الله بن عباس في المشهد التاريخي والديني بوصفه أحد أهم الرموز الدينية، فضخمت شخصيته وعظمته، ولمعته... إذ أضفت عليه القداسة ووصفته بحبر الأمة، في حين أنه ولد بعد ثمانية أعوام من تبليغ النبي بالدعوة «حيث كان حدثاً والمنطق العقلي يشكك بعدم امكانية الرجوع إليه في الحديث حيث فاته الكثير منه كما هناك الكثير منهم أكبر منه سناً ومرافقة للنبي محمد(ص) لم يؤخذ عنهم الحديث، عموماً هذا الفصل كان غنياً في المعلومات المتناقضة الجميلة وآراء الفقهاء القيمة.

في الفصل الخامس: تلحظ جهده المضني، وتنوع أدواته بالبحث عن أصل مفردة الغناء والمغنية.. وجذورها التاريخية وتسلسلها، وتطور التسميات في العصر الجاهلي وأخيرا تبلورها لتصبح أغنية وغناء ومغنية في العصر العباسي وتطور الآلات الموسيقية في الزمن اللاحق موضحاً ومعللاً ذلك عبر تحوير القصائد بما يتلاءم مع اللحن «أن كلمة الأغنية، أو الغناء، أو المغنية، أو المغني واشتقاقاتها غير موجودة في مكة والمدينة بالجاهلية أو إبان الدعوة الإسلامية، إذ إنّ هذه المصطلحات لم تتبلور بعد، بل كان هناك الحداء والنصب... لكون اشتراطاتها لم تتوفر بعد في المدينة ومكة. وهذا الأمر احتاج لإرهاصات عديدة أخذت كامل مدياتها بعد الفتح وتغير الحياة الاقتصادية والاجتماعية نتيجة تدفق الأموال الهائلة من الدول (المفتوحة) ثم قدوم المغنيين والقيان إلى المدينة ومكة... فانتعش الغناء حتى طغى الشعر الغنائي على الشعر التقليدي في بداية العهد الأموي، ونضج مفهوم الغناء في العهد العباسي من حيث تطور الألحان الغنائية وتعدد الآلات الموسيقية وانتشار كبار المغنين والمغنيات مما دفع بعلماء وفلاسفة العصر العباسي نحو إنتاج الكتب النظرية في الموسيقى والغناء، وبدأ مفهوم الغناء واشتقاقاته يطرد ما كان متداولاً من مصطلحات قديمة، وما أورده أبو فرج الأصبهاني في كتابه (الأغاني) يوضح ذلك، ودليلنا على أن مفهوم الغناء هو نتاج العهد العباسي وما ظهر من إضفاء كلمة غناء واشتقاقاتها على بعض من الشعر الجاهلي ولو على نطاق ضيق ومحدود جداً كما الذي نجده مبثوثاً في شعر الأعشى أو أمرئ القيس وغيرهم في القرن الهجري الثاني، هو مقحم على شعرهم، فهم يستعملون مفهوم السماع واشتقاقاته، وبدلاً عن المغنية يستعملون المسمعة والمدجنة، والصادحة، والصناجة، والمزمرة في شعرهم، ولكن ما حدث من تغيير لتلك المفردات واستبدالها بالأغنية والغناء جاء بسبب استعمالها من قبل عامة الناس لكونها مفهومة أو مستساغة من قبل المتلقي في القرن الثاني للهجرة، فضلاً عن ذلك اختلاف البيئة الاجتماعية، والحضارية، لذ اضطر المدون للتاريخ، الكتابة بلغة لحظته التاريخية، فضلاً عن ذلك كانت القيان تغيّر في كلمات الشاعر بما يتوافق أو ينسجم مع الإيقاع للأغنية، وموقف طه حسين من الشعر الجاهلي، واضح في ذلك إذ قال: إن شعر الأعشى الرقيق منحول. ويمكننا القول إن من أخطر الأدوار وأكثرها شيوعاً في تغيير القصائد هو دور الرواة وتدخلهم السافر في تشذيب القصائد وتحويرها بما يتناسب مع النحو ومقاييس التذوق في عصر كتابتها).

الفصل السادس: هو استراحة أولى للقارئ لما فيه من مواضيع سلسة تتحدث عن الغناء في المدن المقدسة وأثناء الحج ومكانة المغني والمغنية الاجتماعية أخبرني الحسين بن يحي عن حماد عن أبيه قال حدّثني بعض أهل المدينة قال: حدّثني من رأى ابن عائشة حاجاً وقد دعاه فتية من بني هاشم فأجابهم، قال: وكنت فيهم، فلما دخلنا جعلوا صدر المجلس لابن عائشة.

ترابية اجتماعية

وهذا الموقف يشير إلى مكانة المغني المرموقة في التراتبية الاجتماعية، فضلاً عن ذلك تأثير الموارد التي حصل عليها المجتمع المدني والمكي بالبنية الاجتماعية الذي انعكس على بناه الفوقية من تغيير في القيم والأعراف وتأسيس أخلاقيات جديدة، تتناسب مع التحولات التي عصفت في المجتمع، وخلق صيغ جديدة من التعامل تتناسب مع المتغيرات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية... «والكرنفال المرافق لجميلة المغنية عند حجها وموقف شخصيات إسلامية وعلمية مرموقة من الغناء في عصر صدر الإسلام وما تلاه من عصور إلى يومنا هذا.

الفصل السابع: بمثابة استراحة ثانية بما يحتويه من حوادث وقصص طريفة أبرزها قصة الإمام أبي حنيفة مع جاره السكير وتقبله له رغم سكره، وقصة نصر ابن حجاج الذي عاقبه الخليفة العادل عمر بن الخطاب بالنفي لذنب ارتكب